منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

من روائع الأنبا غريغوريوس

(٩)

رسائل ودية

للخارجين عن الأرثوذكسية

للمتنيح

الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

٢- فهرس الموضوعات

موضوع	
رسائل ودية للخارجين عن الأرثوذكسية	٥
من أين جاءت كلمة أرثوذكسية؟	٩
فى أى عصر ظهرت هذه الكلمة؟	١١
وماذا يقول التاريخ؟	١٣
وماذا يقول علماء الدين؟	١٥
الخلافات العقائدية القائمة	١٨
الكتاب المقدس	١٨
أولا: الترجمة السبعينية	٢٠
ثانيا: الترجمات القديمة ضمت الأسفار القانونية الثانية	٢٥
ثالثا: المسيح وهذه الأسفار	٢٦
رابعا: اقتباسات العهد الجديد	٢٨
خامسا: أن هذه الأسفار تضمنت	
بعض النبوءات عن السيد المسيح	٣٨
سادسا: شهادة الإجماع العام	٤٣
سابعا: رأى الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية الأرثوذكسية	٤٩
مقتطفات من أقوال القديسين	٦٩

طبع هذا الكتاب على نفقة

الشماس مينا سعيد جبرائيل

عن نفس جده **الأرخن المرحوم جبرائيل ميخائيل هرمينا**

ناظر كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس بالقنطرة شرق

الكتاب : رسائل ودية للخارجين عن الأرثوذكسية

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس

إعداد : الإكليريكي منير عطية

الناشر: مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس ـ دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢

الغلاف : الفنان عادل لبيب

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ـ العبور ت : ٦١٠٠٥٨٩

الجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت : ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ٤٥٦١/ ٢٠٠٤

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

رسائل ودية
للخارجين عن الأرثوذكسية (١)

++++++

أنه لما يؤلم قلوب الأتقياء الحقيقيين أن يروا أنه تحت اسم السيد المسيح - رمز الوحدة والسلام وعنوان الاتفاق والوئام - أنواعا من المذاهب وصنوفا من الهيئات والطوائف، كلٍ لها مبادئ تسعى لتأييدها وتجهد قواها فى نشر تعاليمها، التى تخالف من وجوه عدة تعاليم هيئة أخرى. ولو تأملنا فى خشوع قلبى وتقوى لعرفنا أن السيد يحزن على هذا كل الحزن، ويغض النظر عما تقوم به هذه المذاهب من خدمات إلا أن الرب يغضب على كل من يشترك فى جريمة تقسيم وفصل جسد السيد الواحد الذى هو كنيسته المحبوبة إليه. إن الرسول يقول «خطبتكم عذراء عفيفة للمسيح» ويقول فى موضع آخر «أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها»

(١) مجموعة مقالات نشرت بمجلة الإيمان السنة التاسعة من العدد الأول سبتمبر ١٩٣٩ إلى العدد الرابع من السنة العاشرة ديسمبر ١٩٤٠ (١٤ مقال).

فمن كل هذا ومن غيره يتضح لنا أن الكنيسة واحدة، ولا يمكن أن تكون مقسمة أو منفصلة فى رأى أو عقيدة. إذاً فهى جماعة المؤمنين المتحدين برأى واحد، تحت رئاسة يسوع المسيح رئيس الرعاة الأعظم. وأنه من الواضح طبعا بل والبدهى أن كل هيئة تحاول أن تبنى تعاليمها على كتاب الله المقدس. وحيث أنه واحد، فلا يمكن أن نقول أن جميعها محقة فيما ذهبت إليه، فلا بد أن تكون إحداها فقط على حق، كما أنه أيضاً جلى أنه لا يمكن أن تكون ديانات العالم كلها صحيحة. كما يذهب البعض غير المتعمقين بأن ديانة واحدة هى الحق والبقية بعيدة عنه.

واعتبر أحد اللاهوتيين أن مجرد الاعتقاد بأن كل ديانات العالم صحيحة، إهانة صريحة لله، إذ يصوره فى شكل من ينظر إلى الحق والباطل والخير والشر نظرة واحدة.

فى كل هذا طالما فكرت - ولقد كنت وقتا من الأوقات انتقد بشدة واتحامل بقوة، على من يذكر أمامى إحدى هذه الألفاظ (كاثوليكى - أرثوذكسى - بروتستانتى) وكنت دائما أنادى

بملء فىّ أو ليس الكل مسيحيين؟ - ولهم كتاب واحد؟ - أمّا هذه الخلافات فكانت فى نظرى إذ ذاك أموراً شكلية وتفسيرات لا تمس الصميم أو الجوهر فى شئ.

غير أنه بعد مدة وبعد طول اختبار فى الحياة الدينية، ونتيجة اطلاع على المؤلفات والمجلدات المسيحية - وجدت نفسى قلقاً أمام هذا السؤال. هل ينظر المسيح له المجد نظرة واحدة إلى كل هذه التعاليم المتضاربة المختلفة؟ فإن كان الجواب نعم - إذا فالأوفق أن لا نقيم وزنا لهذه الخلافات ولنضرب بها عرض الحائط، ولا يجب أن نسمع اسما معينا لهيئة ما بل كل عامة «المسيحية» - ومع كل هذا، أليس من الأنسب أن يكون هناك نظام ثابت معين، للعبادة الجمهورية يكون واحدا عند الجميع، ولكن ياترى ماذا يكون هذا النظام الجديد؟

وإن كان الجواب أن المسيح لا ينظر إليها نظرة واحدة، إذاً فالحاجة ماسة إلى الفحص الدقيق لمعرفة الصواب من الخطأ.

حرت فى أمرى أمام هذه المشكلة التى شغلت عقلى حيزا من الزمن، وصرت قلقا ألتمس جوابها تارة بين طيات الكتب، وتارة

فى مناقشات مع بعض الناس، وأخرى عن طريق شحذ الذهن فى وقت الخلوات، وفى كل هذا كنت مستعينا بنعمة إلهى، الذى لاأنسى حبه وعطفه علىّ مادمت حيا فى كل لحظة من لحظات حياتى، منذ أن قبلتنى الحياة لأعيش فى أحضانها إلى هذا الوقت.

وإنى أشعر شعور النعمة، أن هذا بعينه القلق الذى يستحوذ على عقول الكثيرين فى هذه الأيام، مما جعل البعض من كثرة التفكير أن ينسى فرفض الدين كله. وجعل البعض بين الشك واليقين. والبعض يخجلون من مسيحيتهم التى تظهر منقسمة أمام غير المسيحيين، والبعض قابلناهم فوجدناهم فى حالة مضطربة لم تكن أقل من حالنا بل ربما زادت. والبعض اقتنع بالقليل الذى وصل إليه فانتمى إلى هيئة معينة تخلصا من البحث، سواء عن رضى أم مخالفة للضمير الذى كلما اشتد عليه، حاول أن يقنعه أنه ينتمى إلى هيئة مسيحية والسلام!

لهذا أردت بنعمه الله أن أتقدم إلى القراء الأعزاء عموما، وإلى الخارجين عن الأرثوذكسية خصوصاً، بكلمات فيها نرى

حلا معقولا لهذا الإشكال، وسنحاول أن نضع الحقائق فى اسلوب جلى، غير أنى أرجو أن تكون مخافة الله دائما أمام أعيننا، فنقتنع إذا ما ظهر أمامنا الدليل والبرهان مسلمين إرادتنا وعقولنا فى يد الله. لأنه ليس حسنا أن تكون النفس بلا معرفة. وليس من الصواب أن نعيش ونموت متجاهلين الحق أو جاهلينه، بل يجب أن نفحص ونفتش، والكتاب يأمرنا ويوصينا قائلا «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى تشهد لى» فإن شاء الرب سنبدأ فى فحص حقائق الإيمان واحدة واحدة، بعد إيراد مقدمة عن تاريخ الانشقاق، حتى نتفهم قوة وصحة وسلامة إيمان الكنيسة الأرثوذكسية. والرب قادر أن يستخدم ضعفنا لمجد اسمه له المجد إلى الأبد آمين».

من أين جاءت كلمة أرثوذكسية ؟

من قديم الزمان نسمع ونقرأ هذه الكلمة، وهى أجنبية عن لغتنا القبطية، فهى كلمة يونانية الأصل ⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲓⲁ مركبة من ⲟⲣⲑⲟⲥ مستقيم أو حق أو مؤيد، ⲇⲟⲝⲁ اعتقاد أو إيمان أو رأى، وعلى ذلك يكون معنى هذه الكلمة «الرأى المستقيم» أو «الإيمان المؤيد» أو «الإعتقاد الحق»

لهذا كانت كلمة الأرثوذكسية جميلة وحلوة فى لفظها ومعناها، لأنها تحمل إلينا ذكرى الحق الذى نميل إليه نفوسنا، والذى مات فى سبيل الذود عنه، من قدروه وذاقوه وعاشوا فى ظله قرونا بل أجيالا... ومَنْ مِنَ الناس فهم مدلول هذه الكلمة، وبحث عن حقائق الكنيسة المجيدة ويرى أمامه هذه الكلمة، إلا وينظر إليها كأنها من نور؟! ولا دهشة ولا عجب فالحق هو النور الوضاء الذى ينعش القلوب ويثلج الصدور.

وحتى الخارجين عن الكنيسة لمسوا فى هذه الكلمة قوة سحرية عجيبة، ليس فى عدد حروفها - فهى كلمة عادية - ولكن لأن لها نغما شجيا يحدثه وقعها على الأرواح والقلوب، فأنشد أحدهم يقول «**لكلمة الأرثوذكسية صداها الرنان بين جوانب قلوبنا، وموسيقاها الشجية تشنف أسماعنا وتبهج نفوسنا**».

وأذكر أنى قابلت رجلا يختلف معى فى عقيدته، ودار الحديث بيننا فقال لى «أنه أرثوذكسى»، ولم يعن بذلك إنضمامه للكنيسة، ولكنه قصد أنه مستقيم الرأى (حسب ظنه)، وهذا هو

الأسلوب بعينه الذى أصبح يستعمله كثيرون. وفى يقينى أن هذا لا يتفق مطلقا مع الصراحة المسيحية. وهل يسمح لى القراء الأعزاء أن أعتبر هذا دورانا، أو كما يدعوه المناطقة مغالطة منطقية؟ فابراهيم لما سأله أبيمالك عن سارة وقال أنها أخته، ومع صحة هذا إلا أنه اعتبر كذبا، **لأن الإجابة يجب أن تكون بحسب المقصود من السؤال**، فأبيمالك سأله ليعرف هل هى زوجته أم لا، ولم يسأله عن كونها أخته. فالمسيحية لا تعرف لفاً أو دوراناً. إذا سئلت هل أنت أرثوذكسى؟ فأجب بحسب قصد السائل. فهذه الكلمة وإن كان معناها مستقيم الرأى، إلا أنها أصبحت مختصة بهيئة مسيحية معينة فى العالم، لها تعاليمها وعقائدها الخاصة.

على أى حال فهذه المحاولة تدلنا على أن كل هيئة تتمنى لو يخلع عليها هذا اللقب، الذى يعبر سمو لفظه عن سمو معناه.

فى أى عصر ظهرت هذه الكلمة؟

لم تكن هذه الكلمة حديثة العهد أو بنت جيل أو جيلين، بل يرجع عهدها إلى العصر الرسولى الأول، وقت أن كانت اللغة

اليونانية هى اللغة الرسمية للعالم كله، ومع أن عدد البطريركيات الأرثوذكسية فى العالم الآن إحدى وعشرين، ولكل طائفة لغتها الخاصة، نجد أن جميع هذه الطوائف تستعمل نفس الكلمة اليونانية، مع أنه فى استطاعتها أن تترجمها إلى لغتها الخاصة، فكان من الأنسب لنا كأقباط مثلاعوضا عن استعمال كلمة يونانية، نستخدم كلمة قبطية تؤدى نفس المعنى وهى ⲡⲙⲁⲉⲧ ⲉⲧ ⲥⲟⲩⲧⲱⲟⲩ(الإيمان المستقيم) ولما كانت الشعوب مجبرة على استعمال اللغة اليونانية، بأمر الدولة الرومانية فى العصر الرسولى، لذلك لم يكن بد من استعمال هذه الكلمة اليونانية الواحدة. فقدم هذا الاستعمال دون إبدالها بالترجمة بعد زوال الدولة الرومانية.

وقد ظهرت فى بدء المسيحية عدة بدع بين المسيحيين، منها التى حاربها القديس بولس فى كتاباته (رسائله) وكانت تسبب قلقا وانزعاجا، لذلك رأت الكنيسة احتفاظا بمركزها فى تعاليمها أمام أبنائها، أن تحتفظ لنفسها بلقب الكنيسة الأرثوذكسية، وعند رجوعنا إلى الكتاب المقدس نجد أن منه قد استقت الكنيسة هذه الكلمة «بيت الله الذى هو كنيسة الله الحى عامود الحق وقاعدته» (١ . تيمو ٣:١٥).

وماذا يقول التاريخ؟

وإننا فى هذا نقرر حقيقة ناصعة لا سبيل إلى المغالطة فيها، أن الكنيسة أولا كانت واحدة فى إيمانها، ومجمع نيقية سنة ٣٢٥م أول مجمع تمثلت فيه هذه الوحدة من أقصى المسكونة إلى أقصاها، وظلت الكنيسة هكذا حتى قام نسطور ببدعته، التى مؤداها أن فى المسيح طبيعتين، فقاومت الكنيسة هذه البدعة، وكان رجل الساعة البابا كيرلس الأول بطريرك الأسكندرية وحرم نسطور. وقام أوطاخى ببدعة ضد الأولى، إذ قال أن ناسوت المسيح امتزج بلاهوته، وإذ ذاك برغبة آباء الكنيسة أمر الملك ثاؤدوسيوس الكبير بعقد مجمع أفسس الثانى، مدونا ثلاثة رسائل إلى البابا ديوسقورس يدعوه فيها إلى رئاسة المجمع، وإذ ذاك شعر بابا رومه «لاون» بأن فى اعتلاء باباوات الأسكندرية رئاسة المجامع المسكونية الأربعة، أمرا لا يقبله على مركزه باعتباره أسقف ثانى مدينة فى الإمبراطورية، فانضم إلى النسطوريين وبعث إليهم رسالة لقبت فى الكنيسة (بطومس لاون)، قال فيها: «حقاً يأتى المسيح الإثنان الأول يبهر بالمعجزات والثانى ملقى للإهانات»، ثم عمل ما فى وسعه

للتودد إلى الملك، ليأمر بعقد مجمع آخر لمحاكمة القديس ديوسقورس الذى كان يقول بطبيعة واحدة للمسيح، وأن لاهوته تعالى متحد بناسوته بلا اختلاط أو امتزاج أو تغيير، فلم يفلح إلا فى عهد بوليخاريا زوجة مرقيان التى كانت تميل إلى معتقد نسطور، فعقد مجمع خلقيدونيا وكان مجمعا نسطوريا، إذ حرم البابا ديوسقورس من الحضور للدفاع عن الإيمان، وأمر المجمع بنفيه إلى غاغرا، ولما وبخ هذا القديس الملكة لتدخلها فى مسائل الإيمان منذرا إياها، أن الله ينتقم منها كما فعل مع أمها أفدوكسيا، التى اضطهدت القديس يوحنا فم الذهب، ضربته على وجهه فسقطت بعض أسنانه، وأخذ الجنود ينتفون لحيته. فأخذ هذه الأشياء المتساقطة ووضعها فى منديل، وأرسلها إلى شعبه يقول « هذه هى ثمرة الدفاع عن الإيمان». هذا ملخص ما حدث بكل اختصار، وبعد ذلك سارت الكنيسة الأرثوذكسية فى طريقها وسار بابا رومه وتابعوا نسطور فى طريق آخر.

واحتفظت الكنيسة الغربية لنفسها بلقب «الكاثوليكية» أى الجامعة، بسبب ما بذله ملوك الروم من مجهود جبار، فى سبيل اضطهاد الأرثوذكسيين، حتى كان الكاثوليك أكثر عددا. ولم

يكن خلاف فى ذلك الوقت بين الإثنين إلا فى طبيعة المسيح، ولكن بفضل باباوات رومه ومأأدخلوه من تعاليم جديدة تعددت نقط الخلاف - حتى جاء القرن السادس عشر بأعاصيره القوية، فغلت المراجل حقداً فى نفوس الكثيرين من أفراد الشعب الكاثوليكى، وقامت الثورة البروتستانتية تحت زعامة لوثر.

والخلاصة من كل ما ذكر، أن التاريخ يدون فى جلاء ووضوح، أن الكنيسة القديمة والتى كان يخضع لتعاليمها العالم المسيحى أجمع نحو خمسة أجيال، هى الكنيسة الأرثوذكسية، وبذلك نضيف دليلاً على صحة الأرثوذكسية.

وماذا يقول علماء الدين؟

يقول القديس العظيم الأنبا أثناسيوس الرسولى فى عصر سابق للإنقسام «إنى أبوكم أثناسيوس أصرخ إليكم اليوم، وأشكر الله فى وسط الكنيسة العروس النقية. عندما رجعت من النفى وجدتكم ثابتين على **الاعتقاد الأرثوذكسى**، الذى لأمانتنا الحقيقية، لأنى غائب عنكم سبعة سنين أقاتل عن **الأمانة المستقيمة** (ضد أريوس) ... والآن يا أولادى الأحباء

المباركين، احفظوا الأمانة التى قبلتموها منى لأنفسكم، لأنكم تعرفون كل أضطهادنا الذى بسبب **الأمانة الأرثوذكسية**».

وآثرنا نشر أقوال الآباء قبل الإنقسام، ليعرف القراء جميعا ماذا كان اعتقادهم. أما العلامة أوريجانوس فى الجيل الثالث المسيحى، ففى قوة وحماس شديدين يقول فى تفسير المزامير: «ولذا كان حقاً على كل مؤمن أن يدافع عن **العقيدة الأرثوذكسية**، ويدحض مفتريات المبتدعين، الذين يدعون أن الحق جانبهم وهو براء منهم»، ولتعميم الفائدة نسطر بمزيد الاعجاب والفخار، ما دونه غبطة البطريرك كيرلس مقار الذى كان كاثوليكيا ورجع إلى الأرثوذكسية: «أما باسيليدس وكاربوكراتس وفلانتينوس... إنما كان من زمرة أولئك المبتدعين، الذين أصلتهم مدرسة الأسكندرية فى سبيل الدفاع عن **الحقيقة الأرثوذكسية** ناراً حامية، وحسبنا على ذلك مؤلفات أكليمنضس...».

ثم قال أيضاً غبطته «تلك المدرسة الأسكندريةكانت تعد لسان حال **الكنيسة المسيحية ومرآة عقيدتها الأرثوذكسية**».

ناهيك عن اعتراف بعض رجال البروتستانتية، الذين قال أحدهم فى كتاب له حديثاً، « والأرثوذكسية هى **المبدأ القويم الذى دافع عن أزلية المسيح له المجد** ضد أريوس الهرطوفى، كما دافع عن كمال ناسوت المسيح وكمال لاهوته... **معتمدا فى ذلك على كلمة الله**».

ماأردت بما قلت إلا أن أبين لقارئى العزيز، أنه وإن كانت الأرثوذكسية هى العقيدة التى امتزجت بدمى، حتى أصبحت محبوبة إلى جدا، غير أنى لم أعرف حقيقتها إلا بعد فحص دقيق لكل تعليم من تعاليمها، ولأنى انتهيت من بحثى بسمو هذه العقيدة، لذلك دفعتنى محبتى المضطرمة نحو إلهى أن أخدمه فى هذه الناحية، بأن أظهر الحق أمام أولئك الذين قد أعدوا قلوبهم لمعرفة الحق.

وفيما قلت تلمسون أننا ما قصدنا بهذه الأبحاث أن نتحدث عن تعاليم مبدأ جديد قائم نود نشرها بين الناس، ولكن عن عقيدة قديمة لها من الزمن عشرون قرنا، ومع الأعاصير القوية التى هبت عليها من كل جهة، إلا أننا لازلنا نرى هذه العقيدة قائمة.

فللبعض الذين أقلقتهم بعض الأفكار، حتى أصبحوا يكرهون الكنيسة الأرثوذكسية، ولا يريدون أن يسمعوا عنها شيئا، وانتهى بهم الأمر إلى الاقتناع أنهم وحدهم فى نور ونحن فى ظلمة، رجائى أن يضعوا أمام أعينهم أنه ليس من السهل عليهم، أن يطمئنوا إلى هذا الاعتقاد فى نفوسهم، لأن الأرثوذكسية ليست مبدأ حديثاً - كما قلنا - حتى يسهل نقضه بهذا الاعتقاد، فان كانت لنا محبة للحق وشوق للمعرفة أن ننزع من قلوبنا كل احتقار للكنيسة وعقائدها، بهذا نستطيع أن نتفاهم دون أن نكون متأثرين بأى شعور خارجى، ونعمة الرب تهدى المتواضعين.

الخلافات العقائدية القائمة

والآن سنحاول بإذن الله أن نلقى نظرة فاحصة على الخلافات العقائدية القائمة بين الكنيسة الأرثوذكسية والخارجين عنها، وأحببت أن يكون الحديث منظما فلنبدأ بالكتاب المقدس.

الكتاب المقدس

كتاب واحد لجميعنا نعتبره دستورنا الإلهى، ورسالة الله للعالم أجمع، فيه حكمة وفيه عبرة، فيه عزاء وفيه شفاء، فيه رجاء وللعاملين به فى الدارين سلام وهناء، منه نستمد تعاليم ديننا وفيه نرى قدسية حياة مخلصنا.

إذا فيم نختلف ؟ فى عدد أسفار الكتاب المقدس القانونية، فالكنيسة تعتبر كتابها يضم ثلاثة وسبعين سفرا، منها ستة وأربعون للعهد القديم، وسبعة وعشرون للعهد الجديد، ولكن الأسقفيين والبروتستانت لا يسلمون إلا بستة وستين سفرا فقط، منها تسعة وثلاثون للعهد القديم، وسبعة وعشرون للعهد الجديد. فالخلاف إذاً قائم على سبعة أسفار من القديم نسلم بقانونيتها الكنسية ويرفضها البروتستانت وهذه الأسفار هى بالترتيب:-

١- طوبيا ٢- يهوديت ٣- الحكمة ٤- يشوع بن سيراخ ٥- نبوءة باروخ ٦- المكابيين الأول ٧- المكابيين الثانى - عدا بضعة إصحاحات تكملة لسفرى استير ودانيال.

ولا نظن أن خلافا كهذا لايعتد به، لأنه يتعلق بالكتاب المقدس الذى هو كتاب الله، فلو أننا تعدينا بالزيادة والنقص كان هذا جسارة على حق الله تعالى، وهو الذى نهانا عن ذلك بشدة فى قوله: «إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى.هذا الكتاب، وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة، ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب فى هذا الكتاب» (رؤ٢٢: ١٨، ١٩) .

فلنضع إذاً بعض الحقائق والملاحظات والأدلة على قانونية هذه الأسفار:-

أولا - الترجمة السبعينية:

١- نعرف جميعا أن الشعب اليهودى هو أعظم شعب اختاره الله للمحافظة على الكتاب المقدس، حتى بلغ من محافظتهم وعنايتهم به أنهم عرفوا عدد كلماته، وعدد حروفه الصحيحة وعدد حروفه المعتلة، وكان الناسخ منهم إذا كتب نسخة من الكتاب المقدس، وأخطأ فى حرف منها فإنه يمزق هذه النسخة من أولها إلى أخرها، ليعمل نسخة أخرى خالية من كل خطأ، إذا عرفنا هذا التدقيق أدركنا مقدار محافظتهم، وحيث أن الأسفار التى اختلف عليها هى أسفار اليهود فأول من نستشيرهم فى أمر قانونيتها هم اليهود.

فحدث فى عهد بطليموس فيلادلفيوس ملك مصر، وقد كان مولعا بالعلوم والمعارف أن جمع فى مكتبته نحو مائتى ألف مجلد، وسلم إدارتها لخطيب اسمه ديمتريوس، فأقنعه هذا بوجوب وضع توراة اليهود فى هذه المكتبة، لذلك أرسل الملك إلى اليعازر رئيس كهنة اليهود تحفا وهدايا، وطلب إليه أن يرسل

إليه الكتاب المقدس صحبة علماء يجيدون اللغتين العبرية واليونانية، فأرسل إليه رئيس كهنة اليهود إثنين وسبعين عالما من علماء اليهود، من كل سبط سته علماء. أما الملك فأعد لكل إثنين منهم حجرة خاصة، وأمرهم بترجمة التوراة العبرانية إلى اللغة اليونانية سنة ٢٨٠ ق. م، فكانت ترجمته صحيحة دقيقة حفظت فى مكتبة الأسكندرية، وسميت بالسبعينية نظراً لعدد الذين اشتركوا فى ترجمتها.

هذه الترجمة التى قام بها أساطين اليهود وخلاصة أحبارهم الأجلاء، احتوت هذه الأسفار التى يرفضها البروتستانت، أليس فى ذلك دليل قوى على أنه أن أمة اليهود كانت تعتبر هذه الأسفار قانونية، وإن كانت هذه عقيدتهم فى كتبهم فهل لنا أن نبدى رأيا ضد هذا؟!

إننا لا نكرر أن نسخة اليهود العبرية التى جمعها عزرا، لا تحوى هذه الأسفار، وذلك لاينقص مطلقا من قانونيتها، لأن بعض هذه الأسفار المختلف عليها، كتب بعد العهد الذى ضم فيه عزرا الكاهن الأسفار القانونية إلى كتاب واحد، والبعض منها بسبب تشتت اليهود فى أنحاء البلاد لم يستطيعوا الحصول

عليه، ولكن لما أتيح لهم ذلك - كما مر بك - فى الترجمة السبعينية، وضعوها ضمن أسفار الكتاب المقدس مقرين بقانونيتها، والذى يكلف نفسه مشقة السفر إلى لندن، يجد فى مكتبتها نسخة التوراة السبعينية متضمنة هذه الأسفار جميعها.

٢- وهذه الترجمة السبعينية لها شأن كبير فى العهد الجديد، **فمنها اقتبس كتبة العهد الجديد النصوص** التى احتاجوا إليها عند الإستشهاد بآيات من العهد القديم، ولم يشر السيد المسيح أو تلاميذه إلى خطأ فى هذه الترجمة، أو إلى نقص أو زيادة فى عدد أسفارها، فهذا يعتبر دليلا على اعتبار هذه الترجمة وبالتالى لهذه الأسفار.

وقد اعترف الأسقفيون والبروتستانت بذلك، خاصة من تفسيراتهم لرسالة العبرانيين. وعلى سبيل المثال فقط، أذكر جملة واحدة من عدد عظيم تخلل كتاب «التفاسير البيضاوية المسيحية - الرسالة إلى العبرانيين قال فى صفحة ٢٠و٢١»، «أنا أكون له أبا». **«والاقتباس هنا منقول عن الترجمة اليونانية لسفر ٢ . صم ٧ : ١٢».**

وبمراجعة الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل «رسالة العبرانيين» نتحقق أنهم يسلمون بهذا الاقتباس، وأكثر من هذا إيضاحا ماخطه قلم صاحب كتاب القواعد السنية فى تفسير الأسفار الإلهية «النسخة السبعينية التى كانوا يقتبسون منها كثيراً فى زمن المسيح» فى ١٥ ص٢٣٠.

وعلى ذلك تكون الترجمة السبعينية أول دليل نقدمه على قانونية هذه الأسفار المقدسة.

٣- والترجمة السبعينية للكتاب المقدس ورد إلينا بشأنها فى التقليد، أن سمعان الشيخ كان واحدا من أولئك العلماء، الذين وقع عليهم الاختيار لهذه الترجمة الجليلة، وإذا وقف أمام الآية «هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل» (إش٧: ١٤) خجل أن يترجم هذه الآية بحسب نصها، لئلا يعيب اليونان على ديانتهم وكتابهم، فأحب أن يبدل كلمة العذراء (بالفتاة)، وإذ قر رأيه على ذلك وابتدأ يكتب، أوقفه صوت السماء «اكتب ماترى ولن تموت حتى ترى المسيح الرب»، ولذلك عن هذا الرجل قال الإنجيل: «وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب، ثم حمل المسيح على

ذراعيه وقال الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام، (لو٢: ٢٦و٢٩) فهذه الترجمة التى رافقتها عين الله يجب أن تعد مرجعاً مهماً لمعرفة قانونية هذه الأسفار المختلف عليها.

ولقد كان شائعاً بين المسيحيين الأول إعتبار هذه الترجمة أنها مؤيدة بروح الله ووحيه، ولقد قال القديس أغسطينوس من آباء الجيل الخامس «أن هذه الترجمة صادفت عند الكنيسة قبولا كأن لم يكن سواها، وكثير من المسيحيين اليونانيون الذين يستعملونها يجهلون هل من ترجمة غيرها؟» (أغسطينوس فى كتاب ١٨ من مدينة الله).

فإذا قد أحصت هذه الترجمة المعتبرة من جميع اليهود الأعلى، ومن جمهور المسيحيين وقديسيهم ورسلهم الذين اقتبسوا منها، لامن الترجمة العبرانية، والسيد المسيح الذى وافق عليها بدليل عدم اعتراضه عليها - هذه الأسفار المقدسة (طوبيا - يهوديت... ألخ) ثبت إذا وجوب اعتبارها قانونية ويبطل كل اعتراض ضدها.

ثانيا ـ الترجمات القديمة ضمت هذه الأسفار:

لم تكن الترجمة السبعينية فقط تلك التى ضمت هذه الأسفار، بل عدة ترجمات أخرى انتشرت فى العصر الرسولى، ومن أشهر تلك الترجمات القديمة ترجمة سيماك، وترجمة اكويلا، وترجمة ثاؤدوسيون.

وغير ذلك فإن الترجمات السريانية اللاتينية، والحبشية، والقبطية، احتوتها كذلك، ويهمنى كثيراً الترجمة القبطية التى شهد أمامى أحد اليهود المتعمقين فى دراسة اللغات، بأنها أدق ترجمة ظهرت للكتاب المقدس، ويعنيه كرجل يهودى العهد القديم بالأحرى.

ويؤكد أحد العلماء أن هذه الترجمات القديمة المذكورة أعلاه، لازال يوجد بعضها فى مكتبات باريس ولندن ورومية وبطرسبرج، لتكون شهادة أثرية قوية، على اعتبار تلك الأسفار قانونية، وقد اتخذ البروتستانت هذه الترجمات برهاناً على قانونية العهد القديم. فقالوا «ولنا برهان آخر لقانونية العهد القديم مأخوذ من الترجمات القديمة التى كانت بعد ابتداء التاريخ المسيحى بمدة قصيرة، وعلى الخصوص الترجمة السريانية

والترجمة اللاتينية العامة. (الأدلة السنية فى تفسير الأسفار الإلهية ٢ : ٣).

ثالثاً ـ المسيح وهذه الأسفار:

شكرا لله لأننا نجد فى العهد الجديد ما يدعونا إلى القول أن هذه الأسفار كانت معتبرة وقانونية فى نظر المسيح له المجد. ففى (إنجيل يوحنا ١٠ :٢٢) يقول: «وكان عيد التجديد فى أورشليم وكان شتاء، وكان يسوع يتمشى فى الهيكل فى رواق سليمان» وهذا العيد ليس له أى ذكر فى الأسفار اليهودية الأخرى التى لايسلم البروتستانت إلا بها، ولكن أسسه المكابيون وجاء الأمر بوجوب الإحتفال به فى سفر المكابيين الأول «ورسم يهوذا وإخوته وجماعة إسرائيل كلها أن يعيد لتدشين المذبح فى وقته، سنة فسنة مدة ثمانية أيام من اليوم الخامس والعشرين من شهر كسلو بسرور وابتهاج». (١. مكا٤ : ٥٩).

وقد أشار البروتستانت فى كتابهم المقدس ذى الحواشى، وفى الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل، إلى موضع هذا العيد فى سفر المكابيين، وقد قال صاحب كتاب «المرشد الأمين فى شرح الإنجيل المبين» البروتستانتى فى تفسير يو١٠ : ص٣٤٣ سطر١٣

«هذا العيد... أنشأه يهوذا المكابى بعد أن طهر المذبح من الرجاسات والنجاسات التى ألحقها به أنطيوخس الشهير وأعاد الذبيحة، وكان يظل قائماً مدة ثمانية أيام.» وكان يسمى أيضاً «عيد الأنوار» نظرا للأنوار البهية التى كانت تضاء بها أورشليم وكل الأراضى المقدسة أنئذ، ومن فرط ابتهاج اليهود بهذا العيد أنهم كانوا يحرمون فيه الصوم والحزن (ليفرح الشعب فرحا كاملا أمام الرب).

فعن العيد إما أن يكون الأمر به فى سفر المكابيين أمرا بشرياً، وحينئذ يتحتم أن نرى رفضاً صريحاً من المسيح، لهذا العيد الذى نال من احترامهم الشىء الكثير، أنه مجرد سكوت المسيح عنه وعدم توبيخه لليهود كما اعتاد أن يوبخهم على كل أمر خارج عن إرادته، يعتبر دليلا على وجوب احترام هذا العيد - وإما أن يكون كما هو الواقع أمراً إلهيا، وإذ ذاك يجب دون أى تردد اعتبار سفرى المكابيين قانونيين، وبالتالى بقية الأسفار التى يرفضها المعترضون، لأنها جميعا فى درجة واحدة من الاعتبار إن كانت عندنا أم عند الكاثوليك أم الأسقفيين أم عند اليهود.

رابعاً ـ اقتباسات العهد الجديد:

إن الذين يرفضون هذه الأسفار، يقدمون عدم اقتباس كتبة العهد الجديد من تلك الأسفار كما فى بقية الأسفار، دليلا على عدم اعتبارها، ولو نظرنا منطقياً إلى هذا الدليل وجدناه ساقطا، لأننا نعلم علم اليقين كما هو مقرر عند الجميع، أن عدم ذكر شئ ليس دليلا على عدم الاعتقاد به، فمن ذا الذى يصدق أن عدم ذكر القديس يوحنا حادثة ابن أرملة نايين، أو عدم ذكر القديس لوقا حادثة إقامة أليعازر من بين الأموات، دليل على أن واحداً منهما لا يعتقد بما يقوله الآخر.

وهب أننا تساهلنا فى هذه القواعد المنطقية الصحيحة فإننا نقع فى خطأ كبير، فتوجد سبعة أسفار أخرى من الكتاب المقدس لم يشر إليها العهد الجديد، ولم يقتبس منها آيه واحدة، وهى سفر عزرا، نحميا، استير، الجامعة، نشيد الأنشاد، عوبديا، ناحوم ـ فهل يكون معنى هذا أن هذه الأسفار الإلهية غير قانونية ـ أظن أن البروتستانت لايوافقون على هذا، ومع أن كل هذا كان يكفى لرد هذا الإعتراض أو الإجابة على هذا السؤال، إلا أننا إتماماً للفائدة نذكر أن هذه الأسفار قد اقتبس السيد المسيح ورسله القديسون الكثير من آياتها.

وإذا قلنا أن المسيح ورسله اقتبسوا من تلك الأسفار، فليس معنى هذا أن المسيح كان محتاجا إلى هذا، أو أنه كان يعجز عن أن يعبر عن رأيه بغير تلك النصوص، ولكن كان هذا إشارة إلى أن الله أو روحه القدوس الذى نطق على أفواه التلاميذ، هو بعينه الروح القدس الذى نطق بتلك الآيات فى تلك الأسفار، كما حدث أن المسيح فى خطابه مع الشيطان أورد له قول القديس موسى فى العهد القديم «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب». (تث ٨: ٣).

وإذا ما تحدثنا عن الاقتباس فلا نقصد بذلك الاستشهاد، إذ هناك فرق بين الإثنين، فالاستشهاد هو أن تأتى بأقوال بعد أن تنسبها إلى قائلها، أو الموضع الذى فيه جاءت، كما كان يفعل القديس متى فى إنجيله، لكى ما يتم ماقيل من الرب بالنبى القائل... «مت ١: ٢٢، ١: ١٥، ٢٣» حينئذ تم ما قيل بإرميا النبى القائل «صوت سمع فى الرامة..». «مت ٢: ٧».

أما الاقتباس فهو إيراد أقوال الآخرين بلفظها أو بمعناها، مع عدم نسبتها إلى قائلها أو موضعها الذى وردت فيه.

كما اقتبس القديس بولس الرسول هذه الآية «لأن ملكى صادق ملك ساليم كاهن الله العلى الذى استقبل ابراهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركه الذى قسم له ابراهيم عشراً فى كل شىء». (عب ٧: ١، ٢) من سفر التكوين ١٤: ١٨، ١٩، ٢٠) دون أن يشير إلى موسى الكاتب أو حتى سفر التكوين الذى أخذ عنه هذا الاقتباس. راجع كذلك الإصحاح الحادى عشر من سفر العبرانيين. على هذا النحو الأخير جاءت اقتباسات متعددة من هذه الأسفار فى العهد الجديد وها نحن نذكر بعضا منها:-

١ - **جاء فى سفر طوبيا** «كل ما تكرهه أن يفعله غيرك بك فإياك أن تفعله أنت بغيرك» ٤: ١٤، قارن هذا مع ما قاله المسيح فى مت ٧: ١٢ «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم إفعلوا هكذا أيضا بهم لأن هذا هو الناموس والأنبياء».

٢ - **جاء فى سفر يهوديت** «وعاد تزمرهم على الرب فاستأصلهم المستأصل وهلكوا بالحيات» (يهو ٨: ٢٤، ٢٥) قارن هذا بقول بولس الرسول «فأهلكتهم الحيات ولا تتذمروا كما تذمر أيضاً إناس منهم فأهلكهم المهلك» ١ . كو ١٠: ١٠ .

٣ ـ **جاء فى سفر الحكمة:** أ ـ «فهم فى وقت إفتقادهم يتلألأون» حك ٣ : ٧، وقال المسيح «حينئذ يضئ الأبرار كالشمس» مت ١٣ : ٤٣ .

ب ـ جاء فى سفر الحكمة ٣ : ٨ «(الأبرار) يدينون الأمم ويتسلطون على الشعوب» وجاء هذا فى ١ . كو ٦ : ٢ «ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم» .

بل وهذا الاستفهام يدل على أنه يكلم أناساً يعرفون ذلك .

ج ـ وجاء أيضاً «أى إنسان يعلم مشورة الله أو يفطن لما يريد الرب» حك ٩ : ١٣ ، وجاء هذا بنصه تقريباً فى رسالة رومية «من عرف فكر الرب أو من صار له مشيرا» . (١١ : ٣٤) .

د ـ وجاء أيضاً «أن الخزاف يُعنى بعجن الطين اللين ويصنع من كل إناء مما نستخدمه، فيصنع من الطين الواحد الآنية المستخدمة فى الأعمال الطاهرة والمستخدمة فى عكس ذلك، وأما تخصيص كل إناء بواحدة من الخدمتين فإنما يرجع إلى حكم صانع الطين» . (حك ١٥ : ٧) قارن هذا بما أورده القديس بولس «أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان» (رو ٩ : ٢١) .

٤ ـ **جاء فى سفر يشوع بن سيراخ:** أ ـ قول الغنى «قد بلغت الراحة وأنا الآن آكل من خيراتى وهو لا يعلم كم يمضى من الزمان حتى يترك ذلك لغيره ويموت» (سير ١١: ١٩، ٢٠)، وأورد هذا الحديث السيد المسيح تقريباً فى لو ١٢: ١٩ «وأقول لنفسى يانفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة استريحى وكلى وأشربى وافرحى، فقال له الله ياغبى هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التى أعددتها لمن تكون».

ب ـ جاء فيه أيضاً «اغفر لقريبك ظلمه لك فإذا تضرعت تمحى خطاياك» (سير٢٨: ٢)، وأورد هذا القول رب المجد فى مر١١: ٢٥ «ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شئ لكى يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السموات زلاتكم».

ج ـ جاء فيه أيضاً «كن سريعاً فى الاستماع وكثير التأنى فى إجابة الجواب» (سير٥: ١٣)، وقد ورد هذا النص فى يع١: ١٩ «ليكن كل إنسان مسرعا فى الاستماع مبطئاً فى التكلم».

د ـ جاء فيه أيضاً «لاتتوار عن الباكين ونح مع الناحين» «سير٧: ٣٨»، وقد اقتبس هذا معلمنا بولس حين قال «فرحا مع الفرحين وبكاء مع الباكين». رو١٢: ١٥.

ب ـ جاء فيه أيضاً «نقض الرب عروش السلاطين وأجلس الودعاء مكانهم» (١٠ : ١٧)، واقتبست هذه السيدة العذراء فى قولها: «أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين» (لو١ : ٥٢).

و ـ جاء فيه أيضاً أن الحكمة وهى ترمز إلى المسيح تقول «فى كل نعمة الطريق والحق وكل رجاء الحياة» (٢٤ : ٢٥)، وأورد هذا رب المجد فى حديثه «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤ : ٦).

٥ ـ نبوة باروخ: ـ جاء فيه «من صعد إلى السماء فتناولها ونزل بها من الغيوم... لكن العالم بكل شئ هو يعلمها» (٣ : ٢٩) وورد هذا ضمن كلمات السيد المسيح «وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (يو٣ : ١٣).

٦ ـ سفر المكابيين: ـ جاء فى العبرانيين «وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكى ينالوا قيامة أفضل، وآخرون تجربوا فى هزء وجلد، ثم فى قيود أيضاً وحبس.. طافوا فى جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم، تائهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض» (١١ : ٣٥)، فهذا كله اقتبسه الرسول مما جاء فى سفرى

المكابيين من العذابات المتنوعة التى نالها شعب اليهود وخصوصاً عند ملاحظة الكلمة اليونانية الأصلية ⲉⲧⲩⲙⲁⲡⲓⲥⲑⲏⲥⲁⲛ المترجمة (عذبوا) المشتقة من الفعل ⲧⲩⲙⲡⲁⲛⲓⲍⲱ ومعناها «التمدد على آله للضرب والسياط» الأمر الذى لم تأت عنه أيه إشارة إلا فى أسفار المكابيين. وحباً فى الاختصار أرجو مقارنة كلمة عذبوا بما جاء فى٢. مكا٦: ٣٠ «يعلم الرب وهو ذو العلم المقدس... أكابد فى جسدى عذاب الضرب الأليم» ثم الأولاد السبعة الذين «عذبوا بالمقارع والسياط» (٢. مكا٧: ١) أما قوله «لم يقبلوا النجاة لكى ينالوا قيامة أفضل» فواضح من قول أحدهم «إنك أيها الفاجر تسلبنا الحياة الدنيا ولكن جابل العالمين إذا متنا فى سبيل شريعته فسيقيمنا لحياة أبدية» (٧: ٩).

وقوله «تائهين فى براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض» مقتبس من المكابيين «ولجأ قوم إلى مغاور (٢. مكا٦: ١١).

أ- وقد اعترف الأسقفيون بذلك فى كتابهم التفاسير البيضاوية المسيحية، فقالوا فى ص١٣٨ «كما نرى بنوع خاص فى قصص شهداء اليهود، الذين ماتوا فى سبيل إيمانهم فى عهد

المكابيين، ويمكن الاطلاع على سير أولئك الشهداء العبرانيين، وهم الأسلاف الروحيون لأولئك العبرانيين المسيحيين، الذين كتبت لهم الرسالة فى سفر المكابيين الثانى الفصل السادس والسابع، لاسيما فى الفصل السابع حيث نقرأ قصة الأم وأولادها السبعة، الذين «لم يقبلوا النجاة وآثروا الموت جميعهم فى سبيل الله»، ثم أخذ يطبق بعد ذلك بقية العبارات فى رسالة العبرانيين واحدة واحدة على هؤلاء المكابيين.

ثم قال «طافوا فى جلود غنم وجلود معزى» «وفى عصر شهداء المكابيين لم يقتل الجميع، فقد كان نصيب **كثيرين منهم الحياة الشقية المملوءة بالرعب والهول، فكانوا يطاردون فى الجبال والمغاور.** انظر ١. مكا ٢: ٢٨، ٢. مكا ٥: ٢٧، ٦: ١١، ١٠: ٦.

ب ـ وأما البروتستانت ففى كتابهم الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل قالوا «وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة»، «لا يعلم إلى من الإشارة بهذا الكلام، فإنه فى الكتب القانونية (فى عرفهم طبعا) لم يذكر شئ من ذلك بالتوضيح، ولاسيما إذا نظرنا إلى الكلمة الأصلية التى تفيد المتمدد على آله للضرب بالسياط على

الأصح، وبعضهم يفهم الإشارة إلى ماحدث لشهداء زمان المكابيين، فإنه لما جاء انطيوخس ابيفانيوس وأخذ أورشليم ونجس الهيكل، أمر اليهود بإبطال عبادة الله وبأن يعبدوا الأصنام وأن لا يختتنوا، فأطاعه كثير من اليهود إلا بعضهم أبوا ولذلك عذبوا وضربوا وتمزقت أجسادهم وصلبوا أحياء، ثم قال «وآخرون تجربوا فى هزء» كما جرى فى زمان المكابيين ١ . مكا٩: ٢٦، ٢ . مكا ٧: ٧. «وجلد» ٢ . مكا٦: ١٠، ٧: ١ «ثم فى قيود أيضاً وحبس» ١ . مكا ١٣: ١٢، «تائهين فى براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض» «تائهين كما جرى الأمر أحياناً كثيرة» منها ما ورد فى ٢ . مكابيين ٥: ٢٧، ٦: ١١).

جـ - وشهد بذلك أيضاً كتاب العهد الجديد ذى الحواشى للبروتستانت المطبوع سنة ١٨٧٧م فقال عن هذه الآيه السابقة «ربما كانت الإشارة فى ذلك إلى مارود فى ٢ . مكا ٦، ٧ حيث ذكر أن الذين كانوا يعذبون عزوا أنفسهم برجاء القيامة إلى الحياة الأبدية».

هذه بعض شهادات البروتستانت والتى فيها يعترفون معنا أن القديس بولس الرسول، اقتبس وقائع هذه الآية من سفرى

المكابيين الأول والثانى، ولا توجد أية إشارة إلى مثل هذه الوقائع فى أسفار العهد القديم الأخرى.

إذاً لقد رأيت من كل ما تقدم أن كتبة العهد الجديد اقتبسوا أكثر من خمسة عشر نصا فى هذه الأسفار المقدسة، فبذلك يكون سقط زعم الذين ينكرون هذا الاقتباس، واتضح لك بجلاء من ناحية أخرى اعتبار المسيح له المجد ورسله القديسين لهذه الكتب الملهمة، حتى أتت كلماتهم متفقة حتى فى لفظها مع ما ورد فى هذه الأسفار.

وبذا ينقلب الاعتراض دليلا معنا لا علينا، بأن هذه الكتب قانونية ومعتبرة من الكتاب المقدس نفسه، وهذه هى قوة الله فى تلك الأسفار التى تأخذ سهام الناقدين، فتحولها أسلحة قوية للدفاع عن حقيقة وحيها.

وقد رأى بعض البروتستانت هذه الاقتباسات، فلم يستطيعوا إنكارها، ولكن اعتبروها دليلا على أن هذه الأسفار كتبت بعد العهد الجديد!! عجباً كيف ذلك وقد كانت هذه الكتب محفوظة لدى اليهود قبل السيد المسيح، بل كانت تقرأ فى مجامعهم كما سيأتى بعد.

ويذكرني قائل هذا ببعض الهراطقة الذين عندما رأوا قوة ما كتبه النبي إشعياء عن السيد المسيح، وتصويره الدقيق لحوادث آلامه وصلبه وموته، حكموا بأن سفر إشعياء هذا إنما كتب بعد السيد المسيح. فتأمل!

خامسا: أن هذه الأسفار تضمنت بعض النبوءات الواضحة عن السيد المسيح:

وقد تمت جميعها بحذافيرها حرفا بحرف، مما يشهد أن كاتبيها لم يكتبوا من تلقاء أنفسهم بل بوحي الروح القدس - وقد سألني بعض الناس عن نبوءة تضمنتها هذه الأسفار، وبعدها يقتنع بأنها أسفار قانونية موحى بها من الله، فأوردت له النبوءة الآتية فاقتنع هو وكثيرون معه.

١ - **فقد ورد في سفر باروخ** « هذا هو إلهنا ولا يعتبر حذاءه آخر... **وبعد ذلك تراءى على الأرض وتردد بين البشر**» (٣: ٢٦- ٣٨)، وهذه نبوءة صريحة عن إلهنا «الذي حل بيننا ورأينا مجده» (يو ١: ١٤).

وأورد أحد المدققين أسماء ثلاثين قديساً استشهدوا بهذه النبوة.

٣ - **وجاء فى سفر الحكمة:** «ولنكمن للصديق فإنه ثقيل علينا يقاوم أعمالنا ويقرعنا فى مخالفتنا للناموس، ويفضح ذنوب سيرتنا بزعم أن عنده علم الله، ويسمى نفسه ابن الرب، وقد صار لنا عذولاً حتى على أفكارنا، بل منظره ثقيل علينا لأن سيرته تخالف سيرة الناس، وسبله تباين سبلهم، قد حسبنا كزيوف فهو يجانب طرقنا مجانبة الرجس ويغبط موت الصديقين، ويتباهى بأن الله أبوه، فلننظر هل أقواله حق ولنختبر كيف تكون عاقبته، فإنه إن كان الصديق ابن الله فهو ينصره وينقذه من أيدى مقاوميه، فلنمتحنه بالشتم والعذاب حتى نعلم حلمه ونختبر صبره، ولنقض عليه بأقبح ميتة فإنه سيفتقد كما يزعم» (حك ٢ : ١٢ - ٢٠)، أظنك قارئى عرفت تماماً المقصود بالضبط بهذه النبوة لكنى أزيدك إيضاحاً:

(يقاوم أعمالنا ويقرعنا على مخالفتنا للناموس ويفضح ذنوب سيرتنا)، ثم هنا حين وجه السيد توبيخه الصارم «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات.. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلة تطيلون صلواتكم لذلك

تأخذون دينونة أعظم.. ويل لكم.. لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان » (مت ٢٣: ١٣، ١٤، ١٦، ٢٣) وفضح ذنوب سيرتهم أيضاً فى حادثة المرأة الزانية حين كان يكتب على الأرض خطاياهم (يو٨:٦-٩)

(يزعم أن عنده علم الله) قال السيد «أنا أتكلم بما رأيت **عند أبى**.. وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى **سمعه من الله**» (يو ٨:٤٠).

(يسمى نفسه ابن الرب) «وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا ماذا تظنون فى المسيح ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود قال: كيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا: «**قال الرب لربى** اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك فإن كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه» (مت ٢٢: ٤١-٤٦).

(وقد صار لنا عذولا حتى على أفكارنا) فقد جاء وفقا لهذا فى حادثة المفلوج «وإذا قوم من الكتبة قد قالوا فى أنفسهم هذا يجدف فعلم يسوع **أفكارهم** فقال لماذا تفكرون بالشر فى

قلوبكم» (مت ٩: ٣، ٤) لأن سيرته تخالف سيرة الناس وسبله تباين سبلهم، وذلك لأن الناس أشرار أما يسوع فهو قدوس بلا شر وقد صاح متحديا الجموع «من منكم يبكتنى على خطية» وفى موضع آخر يقول «رئيس هذا العالم (الشيطان) **يأتى وليس له فىّ شئ**» (يو ١٤: ٣٠).

(فهو يجانب طرقنا مجانبة الرجس) وكان هذا نبوءة جاء تحقيقها فى الإنجيل المقدس «وقال لهم (لتلاميذه) يسوع انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين، حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحرزوا من خمير الخبز بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين» (مت ١٦: ٦، ١٢) وأيضاً «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه **ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا**» (مت٢٣: ٢، ٣).

(يغبط موت الصديقين) وفعل ذلك سيدنا حين أورد مثل الوزنات الذى قصد به أولئك الذين ماتوا وقد تاجروا «**نعما أيها العبد الصالح والأمين** كنت أميناً فى القليل فأقيمك على الكثير ادخل إلى فرح سيدك» (مت ٢٥: ٢٣).

(ويتباهى أن الله أبوه) فقد قال عنه اليهود «أنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً **أن الله أبوه** معادلا نفسه بالله» (يو ٥: ١٨).

(فلننظر هل أقواله حق) قال الإنجيل عن المسيح وهو على الصليب «صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لما شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى. فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا أنه ينادى إيليا.. وأما الباقون فقالوا دَعْ لنرى **هل يأتى إيليا ويخلصه**» (مت ٢٧: ٤٦- ٤٩).

(إن كان الصديق ابن الله فهو ينصره وينقذه من أيدى مقاوميه) وهذا ما قاله الكتبة والفريسيون عند الصليب «قد اتكل على الله **فلينقذه** الآن إن أراده **لأنه قال أنا ابن الله**» (مت ٢٧: ٤٣).

(فلنمتحنه بالشتم والعذاب حتى نعلم حلمه ونختبر صبره) وهذا كله تم بالتدقيق «وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه... وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين: السلام يا ملك اليهود ويبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه» (مت ٢٧: ٢٩-٣١) **(ولنقض عليه بأقبح ميتة)** «ومضوا به للصلب» (مت ٢٧: ٣١).

(فإنه سيقتقد كما يزعم) وهذه نبوءة عن وعد السيد بالقيامة وقد ذكرها اليهود أمام بيلاطس «يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى **أنى بعد ثلاثة أيام أقوم**» (مت ٢٧: ٦٣).

ويلاحظ أن هذه النبوءة تتلوها كنيستنا القبطية يوم الجمعة العظيمة.

من لا يرى بعد كل هذا أنها نبوءة صريحة؟ وهل يمكن أن يكون هذا التنبوء الدقيق إلا بوحى من الله؟ وعند ذاك يجب أن تكون هذه الأسفار قانونية وموحى بها من الله.

سادساً: شهادة الإجماع العام:

١- **اليهود**: (١) لسنا ننكر أن **يهود فلسطين** كانوا ينزلون هذه الأسفار منزلة أقل اعتبارا من بقية الأسفار المقدسة وفقا لقول يوسيفوس بن كربون مؤرخهم «أن الأسفار التى ألفت بعد أيام ارتحشستا التى تقرر فيها قانون اليهود **كانت بمكانة عندهم**، غير أنها لم تكن عندهم مؤيدة بالنص تأييد الأسفار القانونية المتقدمة» (ك ضد ابيون رأس ٨).

وإن كنا نعرف أن الشعب اليهودى كان شعبا متعصبا جداً للغة العبرانية إلى حد بعيد لم يصل إليه شعب من الشعوب، اعتقادا منهم أنها اللغة التى تخاطب بها الله مع نبيه موسى، فيكون هذا سببا وجيها لديهم، من أجله لم يكونوا يعتبرون هذه الأسفار فى درجة الأسفار الأخرى، لأنها لم تكتب أصلا باللغة العبرانية، بالنسبة للضعف الذى انتابهم فى هذه اللغة لتشتتهم وسبيهم فى البلاد الأجنبية.

وثمة سبب آخر هو أن تلك الأسفار احتوت كثيرا من الأمور التى جلبت للأمة اليهودية الخزى والعار، كتدنيس هيكلهم ومذابحهم بالذبائح الوثنية التى قدمها الرومان عليها - وهذا ما قاله العلامة أوريجينوس وختم حديثه بقوله «ولكن أبت العناية الإلهية أن تفوت المسيحيين معرفة تلك الأسفار.

هذه هى الأسباب التى دعتهم أولا أن يضعوا هذه الكتب فى درجة أقل من الأسفار الأخرى، ولكنهم عادوا بعد ذلك فزادوا من اعتبارهم لها بأن وضعوها فى كتابهم المقدس، ضمن الترجمة السبعينية التى وافق عليها «مجمع السنهدريم اليهودى العظيم».

٢- **يهود الشتات**: أما اليهود الذين كانوا مشتتين فى ممالك العالم المتعددة، فقد جاء اعتقادهم مدونا فى دائرة المعارف للبستانى «أن الإسرائيليين الذين كانت لغتهم يونانية **كانوا يقرأون تلك الأسفار فى اجتماعاتهم فى زمان** شتات شملهم، وكانت معتبرة عندهم وكانوا يسمونها **كتبا مقدسة كالكتب العبرانية**».

وجاء فى ذخيرة الألباب «أن القديس ايرونيموس روى فى مقدمته على سفرى يهوديت وطوبيا، أن اليهود كان من عادتهم أن يتلوا هذين السفرين **ويعدوهما من أسفارهم المقدسة**، (ص٣٤سطر١- ٣).

ب- **اعتقاد الأسقفيين**: أنهم يعتبرونها أسفارا كنسية ولكن غير قانونية، فهم على أى حال يعتبرونها أكثر من البروتستانت، فقد جاء فى كتاب «بين العهدين» تأليف تشارلس هوب جل اسقف ترافانكور وكوشين قوله «كذلك لم يكن لها فى نظر الكنائس غير الأسقفية فيما سبق على وجه العموم، ما كان لها **من الأهمية فى نظر الكنيسة الانجليكانية** (الأسقفية)»ص١ سطر١٧.

ثم قال «فهى تصور لنا على الأقل قسما من الحوادث السابقة، التى أعدت الطريق لظهور ربنا المخلص بارزا فى شخصيته وعمله وتعليمه، وهى توضح كثيرا مما أشار إليه كتبة العهد الجديد، فيتألف منها كما قال دملو فى تفسيره» مصدر أخبار **لا غنى لنا عنه فيما** يتعلق بمجرى الأفكار والحوادث فى ذلك العصر، وهى تكشف لنا ما طرأ على الشعب اليهودى، من التطور فى حياتهم المدنية والدينية، وانقلابهم القومى والعوامل الأجنبية التى كانوا خاظعين لها، ولذلك تسد **الثغرة بين العهدين** وتوضح لنا كيفية التدرج فى إعداد العالم لظهور الإيمان المسيحى، والمحيط الذى نشأ فيه هذا الإيمان» وقال أيضاً «ولا بد لمن يرغب فى درس العهد الجديد **حق دراسته من الإلمام بتلك الأسفار**» ص٤سطر٢.

ولست أحسب نفسى متعدياً على حقوقهم إن قلت أنهم (الأسقفيين) ازدادوا فى قريرة نفوسهم إعتقادا بقانونية هذه الأسفار، حتى أنهم فى كتابهم بين العهدين أوردوا قول الكانن سل «وقد اعتقد السفر القانونى يجب أن يوافق شريعة موسى التى اعتبرت المحل الوحيد. وعلى هذا يصعب علينا أن نفهم **لماذا أدرج سفر الجامعة بين الأسفار القانونية ورفض يشوع بن سيراخ**». ص٥٢- ١٦.

هذا وبكل إمعان ودقة أرجو أن تقرأ الفقرة الآتية من نفس الكتاب «أخذ الناس يعترفون الآن أكثر من ذى قبل بما لأسفار الكتب المقدسة التى ندعوها غير قانونية من جليل الفائدة والقيمة، ومما يستحق الملاحظة فى مميزات العصر الحاضر أن تقويم القراءات المنقح والمختص بكنيسة انكلترا، الذى أقرت السلطة الكنسية إصداره، يتناول فصولا للقراءة من هذه الأسفار أكثر جداً مما كان فى التقويم السابق» ص١ سطر١ – ٥.

جـ - اعتقاد الكاثوليك: يدافع الكاثوليك من اللاتين والسوريان والكلدان والروم والأرمن والموارنة والمصريين - بشدة عن هذه الأسفار معتقدين بقانونيتها، رافضين من شركتهم كل من يناقضهم رأيهم. ولهم مؤلفات فى ذلك. بل هذه الأسفار مطبوعة ضمن كتابهم المقدس، ورأيت هذا الكتاب فى ثلاث مجلدات طبع الآباء اليسوعيين، ورتبوا فيه أسفار الكتاب المقدس العهد القديم كالآتى: التكوين - الخروج - الأحبار اللاويين - العدد - تثنية الإشتراع - (التثنية) يشوع، القضاة، راعوث، الملوك الأول (١ . صم) . الملوك الثانى (٢ . صم) الملوك ٣ (١ . مل) الملوك الرابع (٢ . مل) أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثانى،

عزرا، نحميا، طوبيا، يهوديت، استير (مع جزئها المحذوف) أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأنشاد، الحكمة، يشوع ابن سيراخ، إشعياء، إرمياء، المراثى، باروخ، حزقيال، دانيال (مع جزئه المحذوف) هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجى، زكريا، ملاخى، المكابيين الأول، المكابيين الثانى».

وقد كان هذا اعتقادهم من قبل الانشقاق، وثبت رأيهم هذا المجمع التريدنتينى سنة ١٥٤٥م، ولا صحة لما يزعمه بعض البروتستانت من أن هذا المجمع هو الذى حدد موقف الكاثوليك من هذه الأسفار، لأن عقيدتهم فيها سابقة له ولم يكن هو إلا مثبت ومؤيد لهذه العقيدة.

فقد ورد فى كتابهم «ذخيرة الألباب» أن الكنيسة كانت تعتبر الأسفار المتضمنة فى قانون الكاثوليكيين «قانونية أجيالا قبل المجتمع التريدنتينى دون أن يكون قد قطع حكم خاص بشأنها، ولما اتحفنا القرن السادس عشر بلوثيرس وكلفينوس وهمًا باسقاط تلك الأسفار المقدسة... حتم آباء المجمع التريدنتينى على المؤمنين قبول الأسفار الآتية بمنزلة قانونية ومقدسة وانزلوا الحرم بمن أبى ذلك» فصل ٢ ص٩، ١٠.

سابعاً: رأى الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية الأرثوذكسية:

١- شهادة الكنائس الأرثوذكسية أن الشعوب الأرثوذكسية جمعاء فى مختلف بقاع العالم الشرقى والغربى تعتقد بقانونية هذه الأسفار المقدسة، ومع أنها لا تخضع لسلطة كنسية متحدة كما هو الحال عند الشعوب الكاثوليكية، إلا أنها متفقة فى هذه الحقيقة كما فى جميع الحقائق الأخرى تقريباً، إذ حافظت عليها كوديعة غالية مسلمة من أيام القدم، فالأروام والألبان والسوريان والكلدان والألمان والروسيون والبولنديون والفلنديون والأرمن والأقباط وغيرهم من الشعوب الأرثوذكسية يضعون هذه الأسفار ضمن كتابهم المقدس.

وقد أبدت الكنيسة اليونانية رأيها واضحاً بخصوص هذا الموضوع، فى مجمع عقدته سنة ١٦٧٢م، حين سألها البروتستانت عن عقيدتها بخصوص هذه الأسفار، ومن ضمن ما جاء فى إقرار هذا المجمع «أننا نعتبر هذه الأسفار قانونية ونعتقد أنها من الكتاب المقدس لأننا تلقيناها عن عادة قديمة أو بالأحرى عن الكنيسة الجامعة».

٢- وفى مناقشة نشرتها مجلة الهداية اتضح لنا قوة إيمان الكنيسة بهذه الأسفار، التى استدلت على قانونيتها باعتبار المسيح له المجد عيد التجديد الذى أسسه المكابيون، وبالاقتباس الذى أخذه القديس بولس فى الإصحاح العاشر من رسالته إلى العبرانيين من تلك الأسفار.

٣- وها نحن ننقل إليك لتزداد تأكيداً مما قاله صاحب كتاب «شرح فصول الإيمان حسب تعليم كنيسة القبط والحبش والسوريان فى ص٢٠ سطر٨ - ١٢.

س - هل توجد أسفار أخرى غير هذه؟

ج - نعم توجد وهى: سفر طوبيا - يهوديت - حكمة سليمان ... الخ.

س - هل هذه الأسفار قانونية؟

ج - نعم قانونية ومرتبة من الكنيسة لفائدة المؤمنين (انظر قوانين مجمع قرطاجنة «قيسارية الجديدة»).

٤- وقد تضمن كتاب القوانين ص ١٧ (لجامعه ابن العسال) هذه الأسفار، ضمن الأسفار القانونية التى أوجب السادة الرسل على المؤمنين أن يعتبروها مقدسة وإلهية.

٥- وكل قبطى يجب أن يعرف عالما جليلا من كنيسته عاش فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، هو الايغومانوس فيلوثاؤس ابراهيم، فهذا الأب الجليل كثيراً ما ضمن مواعظه وكتبه أقوالا من هذه الأسفار، وأخذ منها تقدمة المكابيين عن أرواح موتاهم دليلا من الأدلة المثبتة لعقيدة الصلاة عن الموتى فى الكنيسة الأرثوذكسية - وقد قرأت له فى كتاب «أثار المتنيح الإيغومانوس فيلوثاؤس ص ٨٨ س ١٩، ص ٨٩ س ١، ٢ (ألم تر ذلك الشيخ الجليل أليعازر الوارد خبره فى سفر المكابيين الثانى، كيف أنه لما أجبر على مخالفة الشريعة بالأكل من لحوم الضحايا الكفرية وتوعده بالقتل، لم يقدم على مخالفة الناموس البتة حتى أن الموكلين من قبل الملك بأمر الضحايا، قالوا له سراً أن يأكل من اللحوم المحللة فى شريعته، ويتظاهر بأنه يأكل من الضحايا المأمور بها من الملك لينجو من الموت، فلم يقبل النفاق، ومما قاله «لا يليق بسننا الرياء لئلا يظن كثير من الشبان أن أليعازر وهو ابن تسعين سنة قد انحاز إلى مذهب الأجانب، ويضلوا بسببى لأجل ريائى وحبى لحياة قصيرة فانية، فأجلب على شيخوختى الرجس والفضيحة، فإنى ولو نجوت الآن من نكال البشر، لا أفر من يدى القدير لا فى الحياة ولا بعد الممات»

(٢ . مكا ٦ : ١٨)، ثم أخذ يذكر بعد هذا حادثة الأم والسبعة الأولاد معلقا الشيء الكثير عن شهامتهم فى الدين وجرأتهم فى الحق. فمن أسلوب حديثه تعرف أنه يكلم المؤمنين عن أسفار مقدسة عرفوها وقرأوها، وليس من شك بعد هذا أن هذا هو اعتقاد الكنيسة القبطية ممثل فى كاهن من كهنتها العظام.

ملخص هذا أن جميع الكنائس الرسولية تشهد بقانونية هذه الأسفار مما يدل على أنه تسليم قديم منذ العصر الرسولى الأول.

ب ـ المجامع المسكونية والمكانية:

١- وليس هناك أدنى شك فى أن مجمع نيقية الأول أثبت هذه الأسفار وكذلك عدة مجامع مكانية.

٢- فمن ذلك مجمع هيبونة المنعقد سنة ٣٩٣م تحت رئاسة القديس العظيم أغسطينوس.

٣- وكذا مجمع قرطاجنه المنعقد سنة ٣٩٧م.

٤- ومجمع قرطاجنه أيضا المنعقد سنة ٤١٩م.

وقد جمعت قوانين هذه المجامع الثلاثة المكانية، فغدت مائة وستة وثلاثين قانوناً ـ والقانون السابع والعشرون منها يتضمن

أسماء الكتب التى تعتبرها الكنيسة المقدسة قانونية، ومن ضمنها هذه الأسفار، وقد قالوا فى نهايته «وهذا الأمر فليعرفه أخونا ومساهمنا فى الخدمة بونيفاتيوس (أسقف رومة) وأساقفة تلك النواحى الأخر، لتأكيد القانون الموضوع حالا من حيث أننا قد تسلمنا من الآباء فيما أمروا به أن هذه هى الكتب التى يجب قراءتها فى الكنيسة».

٥- ثم أيد رأى هذه المجامع الأربعة مجمع القسطنطينية الذى كمل فى ياش سنة ١٦٤٢م.

٦- ومجمع أورشليم المنعقد سنة ١٦٧٢م لتقرير رأى الكنيسة اليونانية، ومن الأهمية بمكان أن نعرف قرارات هذه المجامع لأنها ليست رأى واحد أو إثنين بل هى رأى آباء الكنيسة مجتمعين بإرشاد الروح القدس.

ولا ينكر البروتستانت وجوب الأخذ برأى هذه المجامع العظيمة، خاصة القريبة منها إلى عهد الرسل والآباء الأولين، فقد جاء فى كتابهم علم اللاهوت القويم «ولما كانت شهادة الكنيسة ذات قيمة لأنها شهادة الجماعة التى نالت بالوعد الإلهى الروح القدس، الذى هو نفسه أوحى بالأسفار المقدسة، كانت

كنيسة الجيل الرسولى أقدر من غيرها على تحقيق الأسفار القانونية (مقدمة باب ١٦ ف ١ س ٩) قال مينو فى قاموسه: «زعم اليهود أن أمتهم عقدوا مجمعاً فى عهد عزرا، وجمعوا الأسفار العبرانية فى قانون متعارف عندهم اليوم، وضموا إليه ما لم يكن فيه من قبل جلاء بابل، وأخص ما أضافوه نبوءة حزقيال وحجى وسفر عزرا ونحميا. أما الكنيسة المسيحية فأضافت إلى قانون اليهود المدعى الأسفار التى ألفت بعده ولم يمكنهم من ثم أن يثبتوها فيه، ومنها سفر الحكمة وسفر بن سيراخ وسفر المكابيين ثم أثبتت ما بقى من الأسفار بعد أيام، بعد أن عثرت على الحجج الراهنة المؤيدة قانونيتها، وقد كان مجال الريب فى أمره منفسحاً لكل إلى ذلك الحين، ثم سد باب كل فرية بعد أن قررت الكنيسة قانونية تلك الأسفار المتأخرة، فلم يعد فرق بين الأسفار الأولى والثانية فى صحة الوحى وقوة الشهادة، وتأخر الكنيسة عن تقرير قانونية الثانية لا يضر شيئاً باعتبارها، بل إنما يزيدها قوة وتأييداً بحيث لم تقررها إلا بعد التحقيق، وإمعان النظر والتروى فى شأنها وتدبر البيانات على قانونيتها» (نقلا عن كتاب ذخيرة الألباب فى بيان الكتاب ص ٥ س ٢٠ الخ، ص ٦ سطر ١٠- ١٤).

جـ - شهادة آباء الكنيسة: إنها شهادة إناس قديسين سموا فى تأملاتهم حتى اتصلوا بالسماء، فأيدهم الرب بمواهب عظيمة فأجريت على أيديهم الأشفية والعجائب، وهو فوق كل هذا جمعوا إلى جانب الحياة التقوية والامتلاء من فيض نعمة الروح القدس، معرفة كاملة بحقائق الكتاب المقدس، والذى قرأ كتبهم أو مخلفاتهم يعرف حقا أنهم قوم لم يصل أحد من عصرنا إلى ما بلغوا إليه، من رقى الفكر وسمو التعبير ودقة الفحص وسداد الرأى وقوة الحجة ونصوع البرهان وسلامة التعليم - لم يكونوا جهلاء بل جلهم تثقف ثقافات عالية فى أعظم جامعات العالم، فدرسوا المنطق والنفس والفلسفة والطب والرياضة والفلك والموسيقى قبل أن يصبحوا من رجالات الكنيسة العظام. وأن إنتقال بعضهم من الوثنية إلى المسيحية لم يكن إنقياداً أعمى، بل كان نتيجة بحث واطلاع ومقارنة، وهذا البعض فحص الكتاب قبل دخوله المسيحية بأكثر جداً مما يفحصه الكثيرون من المسيحيين. لم أذكر ذلك عبثا ولكنى أحببت بذلك أن يعرف القارىء الكريم منزلة شهادة آباء الكنيسة المقدسة، ومن غريب الأمر أن البروتستانت الذين لا يعتقدون كثيرا أو قليلاً بشهادة آباء الكنيسة، نراهم أحيانا يعترفون بما لشهادتهم من عظيم الفائدة والأثر فى إثبات تعاليم المسيحية.

ففى كتبهم أثبتوا لغير المسيحيين أن الكتاب المقدس كتاب موحى به من الله، من شهادة آباء الكنيسة باعتبارهم رجالا علماء عاشوا فى العالم، اقتبسوا الكثير من أقواله فى خطبهم ومواعظهم ومقالاتهم، فتأمل كيف يجب أن تكون أقوالهم معتبرة فى نظر المؤمنين، وكيف لا نأخذ رأيهم فى منتهى الإجلال بما يختص بالكتاب المقدس وسائر تعاليم الكنيسة.

ماذا تريدون يا من تهملون اعتبار شهادة آباء الكنيسة أكثر من قول البروتستانت فى كتابهم (الأدلة السنية).

«وإذا اعتقدنا أن المسيحيين كانوا كغيرهم من بنى البشر عقلا وعلما، **وجب أن نحسب شهادتهم ذات قيمة عظيمة**، كشهادة قوم لا يسلمون بأمر له عندهم أهمية كبيرة ما لم يفحصوا عن صحته فحصا دقيقا» (فصل ٥:٤).

بعد كل هذا أقول إن قديسى العصور الأولى وما بعدها، شهدوا بأن هذه الأسفار مقدسة وإلهية وقانونية، وكثيراً ما استشهدوا بنصوصها، وسنذكر شيئاً عن ذلك فيما بعد، غير أننا نود أن نكشف القناع عن بعض الالتباس الذى لحق بعقول بعض الناس، من قول منسوب إلى القديس ايرونيموس بشأن هذه الأسفار.

فالبروتستانت ومعهم الأسقفيون يحتجون قائلين: إن هذا القديس قال «كما تتلو الكنيسة أسفار يهوديت وطوبيا والمكابيين من دون أن تنظمها لذلك فى سلك الأسفار القانونية، كذلك يحسن بها أن تتلو هذين السفرين سفر الحكمة وابن سراخ لتعليم الشعب لا لإقامة أدلة منها على الإعتقادات الكنائسية».

وليس أقوى من هذا دليل عند البروتستانت على عدم قانونية هذه الأسفار، أما الأسقفيون فيستندون إليه كأساس لقولهم فى العقيدة السادسة «وأما هذه الأسفار فكما قال ايرونيموس أن الكنيسة إنما تقرأها لقدوة السيرة وتهذيب الأخلاق ولكن لا تسند إليها تعليما وتثبته منها».

ونحن نسأل البروتستانت مبدئيا. إن كنتم تحتجون بحسب منطوق قول القديس ايرونيموس، فلماذا لا تعتقدون كما يسلم الأسقفيون أنها أسفار كنسية وإن كانت غير قانونية؟!

١- طبيعى أننا لو نظرنا إلى النص بمفرده وقفنا أمام مشكلة عظيمة، ولكن الحقيقة أن القديس لا يتحدث عن رأيه هنا، بل ينقل رأى بعض اليهود وبعض من جاراهم من المسيحيين بخصوص هذه الأسفار فلو قرأت مثلا قول الإنجيل المقدس

«أليس هذا ابن النجار» مت ١٣ : ٥٥ ومر ٦ : ٣ وقوله «هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن عارفون بأبيه وأمه» يو ٦ : ٤٢ لاستنتجت أن يوسف كان أبا (حقيقيا) للمسيح، مع أنه ليس كذلك، ولكن الإنجيلى هنا لم يتحدث عن رأيه بل دون حديث بعض اليهود عن المسيح، فلا تعجب إذا ما رأيت كلمات القديس ايرونيموس فهو ينقل رأى آخرين واقتراحهم بخصوص هذه الأسفار.

٢- ولقد أساء بعض الناس فهم كلامه فى بعض الأحيان، فكان يستدرك الحديث بإيضاح منعا للالتباس، فمرة قال «إن سفر دانيال عند اليهود لا يتضمن ترجمة سوسنة ولا نشيد الفتية الثلاثة ولا قصتى بال والتنين» وعندها سمع إنتقادات من بعض المؤمنين الذين كانوا يقدسون هذا الجزء، وأساؤا فهم قصده، فوضح لهم المقصود من قوله هذا فى رده على روفين فى كتاب «محاماة الدين» قائلا «ومن أخطائى بأنى أوردت الألفاظ **التى اعتاد العبرانيون أن يعبروا بها عن معتقدهم**، فى شأن قصة سوسنة ونشيد الفتية الثلاثة وقصتى بال والثعبان»، فقد أوضح ذلك بقوله فإنى **لم أقصد بذلك تعبيراً عن مذهبى**

بل عما ألف اليهود أن يقولوه خلافاً لنا بهذا الخصوص» - فليس من شك بعد هذا مطلقاً فى أن هذا القول المنسوب إلى القديس ايرونيموس لا يعبر عن رأيه، بل عن رأى بعض الناس المخطئين، ومن قوله الأخير الذى أوردناه، نلمس أنه يعتقد بقانونية هذه الأسفار، بدليل دفاعه ضد الذين أساءوا فهم كلماته.

٣- قلت أيضا أن للقديس ايرونيموس أقوالا بليغة، يثبت فيها قانونية هذه الأسفار (السبعة المحذوفة من توراة البروتستانت) فلقد استشهد مرة بقول سفر الحكمة (وهو واحد من هذه الأسفار) «إن الحكمة لا تلج النفس الساعية بالمكر ولا تحل فى الجسد المسترق للخطيئة» (حك١: ٤) وقال بعد ذلك مباشرة كما جاء فى الكتاب، كأن هذا القول من أقوال الكتاب المقدس نفسه وكأن هذا السفر (الحكمة) أحد الأسفار القانونية الإلهية.

وبالمثل أيضاً استشهد بقول الحكيم يشوع بن سيراخ «الكلام فى غير وقته كالغناء فى النوح» (ص٢٢: ٦) وقال مرة عن الجزء الأخير من سفر دانيال الذى حذفه البروتستانت من كتابهم، «ولما كانت هذه الفصول الثلاثة **منتشرة ومتعارفة**

فى العالم. آثرنا إثباتها فى ترجمتنا واعتنينا أن نعلق عليها على ما تمتاز بها عما سواها، وذلك لئلا نبين فى عين الجهلاء أننا أسقطنا جزءاً كبيرا من سفر دانيال لغير علة راهنة.

(لست أستطيع أن أفهم كيف يتخذ قول القديس ايرونيموس (المذكور أولا) دليلا على عدم اعتبار هذه الأسفار قانونية مع أنه من أكثر القديسين الذين اهتموا بترجمة هذه الأسفار، فقد قال فى مقدمته على سفر طوبيا، «لما كان بين اللغتين الكلدانية والعبرانية كبير مداناة وشديد تناسب، استنجدت برجل ضليع باللغتين وبارع باصول كلتيهما وفروعهما فاستمليته سفر طوبيا فألقاه علىّ بالعبرانية فاستخرجته عنه إلى اللاتينية، ولم يمض على يوم حتى فرغت منه، فهل يكون من يهتم بترجمة هذه الأسفار هذا الإهتمام ويقتبس منها، ما يعتقد بعدم قانونيته؟!، وهل يكون هذا على أى اعتبار مبرراً لموقف البروتستانت إزاءها، حتى أنهم يعتقدون أنها أسفار خرافية ومنافية لروح الله، ويمنعون الناس عن قراءتها بعدم طبعها وذكر شيء عنها؟ هل كانوا أكثر تمييزاً من هؤلاء القديسين العظماء؟ وأعظم دقة فى فحص الكتب القانونية من العلامة ايرونيموس، الذى شهد عنه

الكردينال كاجيتان فى أوائل القرن السادس عشر وهو رجل ضليع، استشهد بقوله صاحب كتاب مرشد الطالبين البروتستانتى - قال هذا الكاردينال «أن الكتب التى كانت معدودة قانونية عند ايرونيموس يجب أن تكون قانونية عندنا، والتى كانت محسوبة عنده غير قانونية ينبغى أن نرفضها، (ثم يقول) إن الكنيسة مدينة كثيراً لهذا الأب لأجل تمييزه الأسفار القانونية من غيرها. ولم يكن القديس ايرونيموس هو الوحيد الذى شهد بقانونية هذه الأسفار بل كثيرون غيره».

سفر طوبيا: - شهد بقانونيته واستشهد به من آباء:-

الجيل الأول:- (١) القديس اكليمنضس الرومانى فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس وهو تلميذ القديس بولس (فى ٤ : ٣)، (٢) القديس بوليكاربوس أسقف أزمير وتلميذ القديس يوحنا الرسول فى رسالته إلى أهل فيلبى سنة ١٢٠م.

الجيل الثانى:- (٣) القديس أكليمنضس الأسكندرى فى كتابه المربى ..... ٢ف٢٣، ٦ف١٣.

الجيل الثالث:- (٤) العلامة أوريجينوس فى كتابه «الصلاة» ف١١، ١٤، ٣٢، (٥) القديس ديوناسيوس الأسكندرى فى رسالته العاشرة (٦) القديس كبريانوس.

الجيل الرابع:- (٧) القديس أثناسيوس الرسولى فى كتابه الذى ضمنه رد تهم الأريوسيين (ف١١) - (٨) القديس ايرونيموس (٩) القديس باسيليوس (١٠) القديس ديديموس الضرير الأسكندرى فى كتابه (الثالوث) (١:٣) - (١١) القديس أوغسطينوس.

سفر يهوديت:- شهد بقانونيته واستشهد به من آباء:-

الجيل الأول:- (١) القديس أكليمنضس الرومانى فى رسالته الأولى إلى كورنثوس ف٥٥.

الجيل الثانى:- (٢) القديس أكليمنضس الأسكندرى فى المربى ٢ف٧، ٤ف٩. (٣) العلامة ترتليانس.

الجيل الثالث:- (٤) العلامه أوريجينوس فى الصلاة ف١٣، ٢٩.

الجيل الرابع:- (٥) القديس أثناسيوس الرسولى فى خطبته الثانية ضد أريوس ٢ : ٣٥، (٦) القديس ايرونيموس (Ad princip. ep. 65) (٧) القديس امبروسيوس (De office. 111.13) (٨) القديس أوغسطينوس serm, 48

الجزء الأخير من سفر أستير:- أقر بقانونيته واستشهد به من آباء:

الجيل الأول:- (١) القديس اكليمنضس الرومانى فى رسالته الأولى إلى كورنثوس ٥٥.

الجيل الثالث:- (٢) العلامة أوريجينوس فى رسالته إلى يوليوس الأفريقى وفى كتابه عن الصلاة فـ١٤.

الجيل الرابع:- (٣) القديس باسيليوس (٤) القديس ايرونيموس (٥) القديس يوحنا فم الذهب (٦) القديس ابيفانيوس (٧) القديس إيلاريوس (٨) القديس أوغسطينوس أسقف هيبونا.

سفر الحكمة:- أقر بقانونيته واستشهد به من آباء:

الجيل الأول:- (١) القديس اكليمنضس الرومانى فى رسالته الأولى إلى كورنثوس ٦٧.

الجيل الثانى:- (٢) القديس أكليمنضس الأسكندرى فذكره ست مرات فى المربى٦ف١١ (٣) القديس ايريناوس أسقف ليون المنتقل سنة ٢٠٠م.
(٤) العلامة ترتليانس(C.Marc.111.32;C.Valantin.2.1).

الجيل الثالث:- (٥) العلامة أوريجينوس المصرى.
(٦) القديس ديوناسيوس الأسكندرى مسألة٦ف٩، ١٠حيث استند مراراً على سفر الحكمة لضحد بدعة بولس السميساطى.
(٧) القديس كبريانوس (De habit.Virg.10;be mortalit.25).

الجيل الرابع:- (٨) القديس إيلاريوس (٩) القديس أثناسيوس الرسول فى خطبته ضد الأمم ف٩، ١٤، ١٧ (١٠) أوسابيوس المؤرخ فى كتابه «تاريخ البيئة» ٥ف٢٦وفى كتابه عن الهرطقات (ك٤: ٣٨، وك٥: ٢) (١١) القديس إبيفانيوس.
(١٢) القديس باسيليوس فى قداسه آية ٢: ٢٤.

سفر يشوع بن سيراخ:- أقر بقانونيته واستشهد به من آباء:

الجيل الثانى:- (١) القديس أكليمنضس الأسكندرى ثلاثة عشر مرة فى كتابة المسمى البداغوجى (٢) العلامة ترتليانس.

الجيل الثالث:- (٣) العلامة أوريجينوس مراراً كثيرة فى كتاب المبادىء ٢ : ٨ وفى تفسيره إنجيل متى مجلد ٧ف٢٢ وفى شرح سفر إرميا ميمر ٦ : ٢، ١٦ : ٦ وفى شرح سفر حزقيال ميمر ٩ : ٢ (٤) القديس كبريانوس

De mortal. g; pe op. et. eleem.2.1.

الجيل الرابع:- (٥) القديس اسكندر فى رسالته عن الهرطقة الأريوسية ٥ : ٦ (٦) القديس أثناسيوس الرسولى فى خطبته ضد أريوس ٢ : ٧٩، وفى تاريخ بدعة أريوس ٥٢، وفى دفع تهم ذوى أريوس عن نفسه ٦٦، وفى رسالته إلى أساقفة مصر، وفى تفسيره مزمور ١١٨ (٧) القديس ابيفانيوس فى كتاب الهرطقات (٢٤ : ٦، ٣٢ : ٨، ٣٧ : ٩) (٨) القديس افرآم فى ميامره وفى مؤلفاته المترجمة باليونانية مجلد ١ : ٣٨، ٢ : ١١٨، ٣ : ١٠٠ (٩) القديس باسيليوس العظيم فى شرح المزمور ١٤ : ٤، المزمور ٢٤ : ٢ (١٠) القديس غريغوريوس النزينزى فى خطبه (٤ : ١٢، ٧ : ١، ١٤ : ٣٠) (١١) القديس غريغوريوس النيصى فى كتابه «حياة موسى» وفى مقالاته على المزمور ٢ : ٣ .
(١٢) القديس إيلاريوس مز٦٦ : ٩ (١٣) القديس امبروسيوس . (De douomortis 8. de Elia et jejun.18).

(١٤) القديس يوحنا فم الذهب فى «أليعازر ٢ : ٤ (١٥) القديس كيرلس الأورشليمى فى كتابه «كاتيكيزى» المترجم «التعليم المسيحى» (٦ : ٤، ١١، ٩، ١٣ : ٨، ٢٣ : ٧١) (١٦) القديس أوغسطينوس (De civ 1,x11,20) .

الجزء الأخير من سفر دانيال:- شهد بقانونيته واستشهد به من آباء.

الجيل الأول:- (١) القديس اكليمنضس الرومانى فى رسالته الأولى إلى كورنثوس : ٤٥ (٢) القديس اغناطيوس أسقف أنطاكية وتلميذ القديس بطرس الرسول.

الجيل الثانى:- (٣) القديس إيريناوس أسقف ليون فى كتابه ضد الهرطقات فى كلامه عن الهرطقة الرابعة (Haer. 17,263) .

(٤) العلامة ترتليانس (De idolol 118, De cor.4) .

الجيل الثالث:- (٥) العلامة أوريجينوس فى رسالته إلى يوليانس الأفريقانى (٦) القديس كبريانوس فى رسالته٤٠ : ٤ وفى الصلاة الربية ٢١ .

الجيل الرابع:- (٧) القديس ايرونيموس فى رسالته إلى اينوشنسوس ١ : ٩ (٨) القديس أثناسيوس الرسولى فى خطبته

ضد أريوس ١ : ١٣، ٣ : ٣٠ (٩) القديس غريغوريوس النزينزى (١٠) القديس كيرلس الأورشليمى فى كتابه «التعليم المسيحى» ١٦ : ٣١.

نبوة باروخ: ـ أقر بقانونيته واستشهد به من آباء.

الجيل الثانى: ـ (١) القديس أكليمنضس الأسكندرى فى المربى ك ١ ع١٠، ك ٢ ع٣.

(٢) العلامة ترتليانس (Scprp.C. Gnost.8)

الجيل الثالث: ـ (٣) القديس كبريانوس (De orat pom. 5).

(٤) القديس ديوناسيوس الأسكندرى فى المسألة العاشرة.

الجيل الرابع: ـ (٥) القديس أثناسيوس الرسولى فى خطبته ضد أريوس ١ : ١٢، ٣ : ٩ (٦) القديس يوحنا فم الذهب.

(٧) القديس باسيليوس العظيم.

(٨) القديس أوسابيوس القيصرى.

(٩) القديس كيرلس الأورشليمى.

وقد جمع أحد المدققين ثلاثين كاتباً من الآباء المسيحيين الذين استشهدوا بآيتى باروخ (٣ : ٣٦ – ٣٨).

T. P. Tailhan. Kilber. Analysis bib1.1.p.428.

paris 1856.

سفر المكابيين الأول والثانى:- أقر بقانونيتهما واستشهد بهما من آباء:

الجيل الأول:- (١) القديس اكليمنضس الرومانى الذى مات سنة ١٠١م.

الجيل الثانى:- (٢) القديس أكليمنضس الأسكندرى .

(٣) العلامة ترتليانس (Adv. Jud. 4).

الجيل الثالث:- (٤) القديس كبريانوس فى مؤلفه «تطويب الشهداء» رأس ١١(Exhort. ad.mart.5) (٥) العلامة أوريجينوس (٦) القديس هيبوليتس سنة ٢٤٠م.

الجيل الرابع:- (٧) القديس إيلاريوس أسقف بواتيه المتنيح سنة ٣٦٧م فى تفسير مزمور ١٣٤ (٨) القديس ايروينموس الدالماطى (٢٣١- ٣٢٠) فى شرحه ص ٢٣ : ٢ من سفر إشعياء (In. Is. 23,2).

(٩) القديس امبروسيوس اسقف ميلان فى كتابه الثانى (Dejacob et vita beata.11,10599).

(١٠) القديس غريغوريوس الثاؤلوغوس وله فى المكابيين ميمر

خاص (١١) القديس غريغوريوس النزينزى فى خطبته على المكابيين (١٢) القديس أثناسيوس الرسولى فى تفسير دانيال (١٣) القديس يوحنا فم الذهب له ثلاثة ميامر فى مديح المكابيين (١٤) القديس افرآم شهد بأنهما كانا موجودين فى الترجمة السريانية القديمة فى تفسيره نبوءة دانيال ٨، ١٢ وفى مؤلفاته المطبعة السريانية مجلد ٢ ص١١٨ (١٥) القديس اغسطينوس اسقف هيبونا من أعمال قرطاجنة فى كتابه التعليم المسيحى رأس ٨ نشر سنة ٤٠٠م. (Doctr.11.8)

(١٦) القديس كيرلس الأورشليمى.

مقتطفات من أقوال القديسين

سفر طوبيا:- يسميه القديس كبريانوس وهو من آباء الجيل الثالث فى مقالته على الرحمة «الموحى به من الله» .

سفر يهوديت:- قال القديس ايرونيموس تلميذ القديس غريغوريوس الثاؤلوغوس من آباء الجيل الرابع فى مقدمته على سفر يهوديت « إن مجمع نيقية الأول أثبت سفر يهوديت» .

سفر الحكمة:- ١- كان القديس كبريانوس من آباء الجيل الثالث يستشهد بآيات سفر الحكمة قائلاً «علم الروح القدس بفم سليمان» بل وسماه فعلا «سفراً إلهياً» .

٢- أما القديس أثناسيوس الرسولى ففى خطبته ضد الأمم (ف٩) ١٤، ١٧ يستشهد بأقوال سفر الحكمة قائلا تارة «قال الروح القدس» وتارة كان يقول «قال الكتاب» ثم يتلوه بالنص وكان يدعو سفر الحكمة «كلام الله» (Ⲟ ⲧⲟⲩ ⲑⲉⲟⲩ ⲗⲟⲅⲟⲥ).

قال القديس ايرونيموس فى مقدمته على مؤلفات سليمان (الأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد وسفر الحكمة) «إن قوماً من أئمة التدقيق الأقدمين نسبوا هذا السفر (الحكمة) إلى فيلون اليهودى، إلا أن إنشاءه يخالف كثيراً إنشاء فيلون الذى عندنا تآليفه، والقديس برنابا فى رسالة تعزى إليه والقديس اكليمنضس فى رسائله إلى أهل كورنثوس قد ذكرا سفر الحكمة، فلو أنه لفيلون الذى كان فى ذلك العصر لم ينزلاه منزلة سفر من الأسفار المقدسة، ومعنى هذا أن هذين القديسين اعتبراه سفراً مقدساً من أسفار الكتاب المقدس.

سفر يشوع بن سيراخ:- ١- استشهد به القديس أكليمنضس الأسكندرى من آباء الجيل الثانى المسيحى ثلاثة عشر مرة فى كتابه المدعو البيداغوجى وكان يسبق نصوصه بقوله «قال الكتاب المقدس».

٢- والعلامة أوريجينوس فى كتاب «المبادىء» كثيراً ما كان يستشهد بأقواله قائلا «جاء فى الكتاب المقدس».

سفر باروخ:- قال القديس يوحنا فم الذهب «كما أن كتاب إرميا النبى لاشك فيه كذلك كتاب باروخ لاريب فيه، وليس لنا أن نرتاب فى بقية الأسفار التى قبلتها الكنيسة، بل علينا أن نجعل لها من المنزلة ما للكتب القانونية عينها».

سفرا المكابيين:- قال القديس أوغسطينوس «أما سفرا المكابيين فهما عند الكنيسة قانونيان» (التعليم المسيحى رأس ٨).

ليت شعرى ألم يتضح لنا بالبرهان الكافى عقيدة مسيحيى وقديسى العصور الأولى بخصوص هذه الأسفار؟

لذلك وجب علينا أن نعرف أن كل فكرة ترمى إلى حذف هذه الأسفار إنما هى فكرة تنكرها اعترافات الأقدمين. وإن جاز لنا أن نأخذ شهادة هؤلاء القديسين لإثبات قانونية الأسفار التى لا يعترف البروتستانت إلا بها، أليس من العدالة فى الحكم أن نأخذ أيضا شهادتهم ذات قيمة واعتبار عظيمين لإثبات قانونية هذه الأسفار أيضا؟!!

تذييل: يوجد بعض من هؤلاء القديسين حددوا عدد أسفار العهد القديم فى بعض اعترافاتهم بأنها كعدد الحروف الهجائية

العبرانية، أى أنها إثنان وعشرون سفراً (بعد ضم عدد من الأسفار إلى سفر واحد)، ومعنى هذا أنهم لم يضموا إلى هذا العدد السبعة الأسفار التى حذفها البروتستانت (وبهذا احتج صاحب كتاب مرشد الطالبين البروتستانتى) ولكن الإجابة الصريحة بحسب الحق المقدس عن هذا، هى أنهم عندما تعرضوا لذكر عدد الأسفار، كانت هناك حاجة داعية عندهم أن يذكروا فقط عدد الأسفار المتفق عليها من جمهور اليهود، إذ أن تلك الأسفار السبعة لم يرد أن يعترف بعض اليهود فى العصور القديمة أنها فى درجة الأسفار الأخرى، **لأنها كتبت أصلا بلغة غير لغتهم، ثم لأنها احتوت أمورا فيها خزى وعار لأمتهم كما سبق القول.**

وهنا نلمس فى فقرة لأوسابيوس المؤرخ فى القرن الرابع المسيحى مايؤيد هذا الرأى «أنه يتضح جليا من تقرير ماليتون بقانونية الأسفار المجمع عليها، أن منها مالم يجمع عليه بل وقع فيه الخلاف، وأنه لم يكن كل المؤلفين على اتفاق فى عدد أسفار العهد العتيق المقدسة، ولا ننكر أن القديس ابيفانيوس والقديس غريغوريوس النزينزى والقديس ايرونيموس وبعضا من الآباء الأقدمين، لم يذكروا فى قانون العهد العتيق إلا الأسفار

القانونية المتقدمة، بيد أنه لا يستدل من ذلك إلا أنهم أرادوا أن يجعلوا جدولا للأسفار المجمع على قانونيتها، معرضين عما وقع الخلاف فى قانونية نصه، وما ذلك إلا لأن اليهود جعلوا بعض الفرق بين هذه (الأسفار) وبين الأسفار القانونية المتأخرة (للأسباب المتقدمة).

د ـ شهادة التقليد:

ويوجد لدينا قيم وبرهان واضح لايدع مجالا لشك، هو أن الكنيسة تسلمت حقيقة قانونية هذه الأسفار ليس تسليما نظريا معترفا به فى كتب الآباء والقديسين الأولين فقط، ولكن نراه واضحا عمليا فى مباشرة طقوس الكنيسة أيضا.

١ـ فالقداس الإلهى وهو أعظم خدمة دينية لما احتواه من الصلوات العميقة، التى ترفع النفس عن حق من أعمق أعماق الأرض إلى أعمق أعماق السماء، وهو فوق كل هذا وضع قديم مسلم إلينا يعيد إلى أذهاننا ببرهان أكيد، عقائد المسيحية وطقوسها كما كانت منذ البدء.

هذا القداس الإلهى تضمنت صلواته شيئا مما جاء فى تلك الأسفار مما يدل على عظم اعتبارها.

ففى صلاة الصلح لقداس القديس باسيليوس نجد الكاهن يقول «والموت الذى دخل إلى العالم بحسد ابليس» وبينما كنت أطالع فى سفر الحكمة الإصحاح الثانى والعدد الرابع والعشرين استوقفتنى بدهشة غريبة هذه الآية «لكن بحسد ابليس دخل الموت إلى العالم» وحينئذ زدت فى قرارة نفسى اعتقادا أن وجود هذه الآية فى قداسنا خير دليل على اعتبار قديم لهذه الأسفار.

٢- وفى صلوات الكنيسة الأخرى توجد كثير من هذه الاقتباسات، ففى صلاة الساعة التاسعة يقول المصلى «نج يامخلص شعباً متواضعاً. لا تتركنا إلى الإنقضاء ولا تسلمنا إلى الدهر، ولا تنقض عهدك ولا تنزع عنا رحمتك، من أجل ابراهيم حبيبك واسحق عبدك وإسرائيل قديسك» وهذا النص مقتبس بحذافيره من جزء سفر دانيال الذى حذفه البروتستانت الفصل الثالث آية ٣٤و٣٥ «فلا تخذلنا إلى الإنقضاء لأجل اسمك ولاتنقض عهدك ولا تصرف رحمتك عنا لأجل إبراهيم خليلك واسحق عبدك وإسرائيل قديسك».

٣- ومن جميل ما يذكر فى هذا الصدد أن الكنيسة تتلو فصولاً عدة من هذه الأسفار وأخصها سفر الحكمة، يشوع بن سيراخ، طوبيا، وباروخ فى أوقات متباينة من أسابيع الصوم المقدس، وبأكثر اهتمام فى أسبوع الآلام، أما فى جمعة الصلبوت (الجمعة العظيمة) فتتلو علينا نحن أبنائها بعض النبوات التى تضمنها سفر الحكمة بخصوص آلام السيد المسيح، وهى الواردة فى (حكمة ٢: ١٢- ٢٠) والتى سبق تحدثنا عنها تفصيلا.

٤- والذين يتمتعون كل عام بالصلاة فى ليلة سبت الفرح بالكنيسة يستمعون إلى قصة سوسنة العفيفة، وتسبحة الثلاثة الفتية الواردتين فى جزء سفر دانيال الذى حذفه البروتستانت.

٥- وعدا ذلك فإن تسبحة الثلاثة الفتية تتلوها الكنيسة كل صباح يوم تقام فيه خدمة القداس الإلهى، وللفائدة نذكر أن غيرنا من الشعوب يتلون فى اجتماعاتهم أجزاء من هذه الأسفار.

أ- فالكاثوليك وخاصة الأقباط التبع منهم يتبعون الطقس القبطى الأرثوذكسى خاصة فى أسبوع الآلام، إذ يتلون الفصول عينها التى نتلوها نحن فى كنيستنا.

ب - واليونان كذلك يشاركوننا فى تلاوة بعض أجزاء من هذه الأسفار وأخصها من سفرى الحكمة وباروخ في أيام معينة فى السنة، بل وعينوا اليوم الأول من شهر آب من كل عام ليعيدوا فيه محتفلين بذكرى المكابيين وهذا أسمى مظهر للاعتراف بقانونية هذه الأسفار.

جـ - والأسقفيون فى اجتماعاتهم أيضا خصصوا أجزاء من هذه الأسفار لتلاوتها على شعبهم، بل يعترفون كما مر بك أن تقويم القراءات الذى اعتمدوه أخيرا احتوى فصولا من هذه الأسفار بأكثر جداً مما كان يتلى كل عام، ويبهجنا جداً أن نعرف أن تسبحة الثلاثة الفتية يرنمها الأسقفيون دوماً فى اجتماعاتهم.

عرفنا من هذا كيف أن التقليد الكنسى عندنا وعند غيرنا يقنعنا بأن الإيمان بقانونية هذه الأسفار إيمان قديم كقدم الكنيسة نفسها.